

الزراعة المنكوبة بوزارتها

ناهض منير الرئيس

عندما تدهم الدبابات الإسرائيلية أية منطقة حدودية في قطاع غزة (ونصف قطاع غزة الشرقي منطقة حدودية نظرا لضآلة عرضه) فإن جزءا لا يتجزأ من حملتها المدرعة هو الجرافات العملاقة من طراز كاتربلر التي تشرع على الفور في تجريف الأراضي الزراعية أمامها، وما أدراك ما التجريف؟! إنها تجندل أشجار الزيتون القديمة المباركة ، و(يتصادف) أن يتم ذلك في موسم ما قبل القطاف . وتهرسها هرسا كما تهرس أشجار البرتقال وثماره التي ما زالت خضراء . وتجعل ذلك كله ترابا أو طبقة خفية تحت طبقات التراب ، فلا يدرك الغريب عن المنطقة أن المكان كان مزرعة يانعة إلا من بقايا أوراق خضراء قد تبدو مسحوقة هنا وهناك .

وقد كان صمود المزارع الفلسطيني المحافظ على أرضه وزرعه واحدا من منظومة الصمود في هذا القطاع . وكان الجميع يتقبلون حصتهم من التضحية والخسارة في صمت . فإذا كان الشهداء يسقطون ومنازل الأهالي تنهار فكيف لمن فقد أشجاره أن يئن ؟ ومع ذلك فإن الشجر روح وإنه عزيز كالولد عند الذين يتعهدون الشجر بالعناية ويراقبون نموه ساقا وأوراقا وأزهارا ، سنتيمترا إثر سنتيمتر .. يطعمونه ويسقونه ويداوونه من المرض ويسندونه من الاعوجاج ! ثم يأتي الإسرائيليون في ليلة ظلماء ويدمرون الحياة في الشجر كما يدمرونها في الحجر وفي البشر .

ولكن ظلم العدو ، والإفقار والتتكيل وزرع الحشرات من قبله ليست بالجديدة .
فقد سلبوا الوطن نفسه واقتلعوا أهله منه ، وجعلوا المذابح وسيلتهم إلى التعامل
مع أهل فلسطين .

أما ما يلقاه المزارعون من بعض المسؤولين في وزارة الزراعة فذلك هو الشاذ
والغريب والظلم الفاحش . إنهم مع بعض التجار المرتبطين بعلاقات قديمة مع
الاحتلال أخذوا على عاتقهم كما يبدو إنجاز مقاصد الاحتلال الرامية إلى حرق
الزراعة الفلسطينية ضمن محرقة أولمرت وزبانيتها .

لقد دأب الاحتلال على إغلاق المعابر دائما في أوان موسم قطاف الحمضيات
. وبدلا من تصدير حمضياتنا عبر عمان إلى السعودية التي كانت قد منحت
صادراتنا إعفاء جمركيا ، (تعاون) بعض التجار . إياهم . مع البعض بطريقة
ما ، وصدروا في بعض السنوات الماضية عبر عمان حمضيات الموسم
الإسرائيلية بشهادات منشأ غزية . وكافأتهم المخابرات الإسرائيلية على
خدماتهم بخدمات خفية وظاهرة في المعابر .

أليس من المدهش اليوم ، وفي عز موسم حمضيات القطاع ، أن تفتح
المعابر لتمير جميع ثمار الدرجة الثانية (البرارة) من الفواكه القادمة من
إسرائيل بغية بوار إنتاج القطاع وبيعه على الأرصفة وعلى العربات بسعر
التراب تمهيدا لتبوير الأراضي وبيعها لسماسة اليهود ؟

الناس تعرف ربها بالعقل . ونحن لا نفهم بالعقل هذه العلاقة المتينة والحميمة
بين بعض التجار وبعض موظفي وزارة الزراعة بحيث يتكلم أولئك الموظفون
باسم أولئك التجار ويرددون حججهم التي تعني أن قلبهم على المستهلك الذي
يجب إغراقه بـ (طوفان) الشموطي والبوملي والبومليت وغيره وغيره عدا الموز

والكمثرى والتفاح والبطيخ المبكر الآن وغيره وغيره تأتينا من العدو الذي يمنع عنا ذرة الإسمنت ولا يسمح لنا بنقطة البنزين إلا بشق الأنفس .. بينما يحرص القرانيس في وزارة الزراعة الغيورون على أخيهم التاجر الحريص على صحة أخيهم المستهلك، فيرددون كل ما يردده هؤلاء أثناء حصولهم على أنونات استيراد البضاعة الإسرائيلية . (يقولون : خلي الناس تاكل) والسؤال (أي ناس ؟) .

إن هذه السياسة التي اتبعتها وزارة زراعتنا عبر العهود وما زالت تتبعها هي في حقيقة الأمر خذلان وهزيمة سياسية . فإسرائيل بوزارة خارجيتها وداخليتها وزراعتها ومخابراتها دأبت على النظر إلى سوق المليون ونصف المليون من أهالي قطاع غزة بوصفه (غنيمة) من غنائمهم بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . فهو المكان الذي اعتاد أصحاب المزارع والمصانع على تصريف منتجاتهم من الدرجة الثانية والثالثة بين أهاليه المستهلكين النهمين . ولذلك عمدت الحكومات هناك على جميع أجهزتها بالانتباه إلى ضرورة بقاء (السوق الغزاوي) حكرا عليهم بحيث تظل الزراعة الإسرائيلية . ٨وهي مدعومة أصلا ومغطاة ضد الكوارث البيئية والطبيعية . ذات أولوية وقدرة تنافسية أمام أية منتجات أخرى حتى المنتجات الفلسطينية . وهكذا يظل المزارع الإسرائيلي والشركة الزراعية الاستثمارية متشجعين للاستمرار في الزراعة والإنتاج لأن الحكومة تعلم أن للزراعة أهميتها البالغة ، لا من حيث كونها ركنا من أركان الاستقلال ولكن . أيضا . دعامة أساسية من دعامات صحة البيئة .

وفي مواجهة هذه النظرة بالغة الجدية والاهتمام بزراعتهم ما زلنا نجد عندنا من لا يتورع عن استغلال أي ظرف للحصول على سمسة من هنا ورشوة من

هناك لإغلاق السوق المحلية عمليا دون الزراعة الوطنية التي تعاني ما تعانيه من التجريف والإغلاق والحصار وارتفاع نفقات الإنتاج والكوارث البيئية دون أن تلقى من وزارة زراعتنا غير الإهمال والروتين القاتل والجلوس في انتظار التجار أصحاب العلاقات مع الجهات الإسرائيلية سالفه الذكر .

وما دام الأمر كذلك ، وما دامت وزارة الزراعة قد ظلت تبعا لمنطقها . كما كانت دائما . وزارة التاجر التي تدعي اهتماما بالمستهلك في مواجهة المزارع الذي يسبغون عليه أوصاف الطمع والثراء ، خادعة نفسها بإطلاق التصريحات الصحفية الجوفاء عن خدمة الزراعة والمزارعين ، وقد تكرر ذلك وذهبت صيحات المزارعين المنهكين أدراج دهاليز الوزارة ، فنحن نطلب من الأخ رئيس الوزراء اسماعيل هنية أن يشكل لنا وزارة زراعة تصبح على علاقة مع المزارعين . وتصارحهم : هل تريد زراعة فلسطينية أم لا .. وقبل ذلك (تتفرج) على فواتير الكهرباء أو فواتير السولار المستخدم في موتورات المياه في المزارع أو فواتير السماد الكيماوي والطبيعي أو فواتير الأدوية حين تكون موجودة أو .. أو .. أو .. حتى لا يستمر المتآمرون على الإنتاج الوطني في التغطية على عملهم الهدام بالتقوهات الطبقيّة الغريبة ضد المزارع المكافح الذي وجدت الوزارة وألقابها ودرجاتها ورواتبها لخدمة جهده في الحقل . وكان أحرى بهم أن يفهموا المغزى الوطني للحفاظ على الزراعة الوطنية ويدرسوا موضوعيا مشكلات المزارعين ويتعرفوا على خسائرهم عبر السنوات السوداء ويتخيلوا كم سنة من السنوات الجيدة يلزم مرورها ليعوض المزارع خسارته عندما يباع طن الحمضيات في بعض السنوات بعشرين دينارا . فما بالنا إذا كان ذلك ينطبق على خسائر البندورة والبطاطس وغير ذلك !؟

وما هي الدلالة التي لاحظناها أيام فتح الحدود بيننا وبين إخوتنا العرايشية من نزول تجارهم إلى مكان وحيد هو سوق الخضار والفاكهة عندنا بينما اشترينا جميع أصناف الأشياء والمنتجات والمأكولات والآلات من عندهم ؟ أليس معنى ذلك أن سعر منتجاتنا الزراعية أقل من نصف سعر مثيلاتها عندهم .. في حين أن تكاليف الإنتاج عندنا ثلاثة أضعاف تكاليفه عندهم ؟ أليس معنى ذلك أن المزارع مضروب على رأسه في هذا القطاع وأن آماله التي طالما راودته بيوم يحل فيه الفرج والتعويض ما زالت مسخرة الحلف الخفي بين الأعداء والأجانب والمحليين ؟

لقد بلغت الروح الحلقوم حقا .. والذين يهمهم الأمر لا يعون ولا يسمعون . حتى إن جوات كبارهم لا ترد بسبب كثرة شواغلهم ومشاغلم . ولهذا أوصل الناس صوتهم عبر الجرائد هنا ، ولا أستبعد أن يوصلوه عبر الجرائد هناك .. وهناك .. وهناك حتى السماء !!

من وحي الأسبوع :

* نشر البنجاجون الأمريكي تقريراً مفاده أنه بعد البحث والتتقيب وتحريات المخابرات الأمريكية ظهر أن صدام حسين لم يكن على أية علاقة مع القاعدة .. نقول : طيب .. هذه هي آخر فرية تعترفون بزيفها بعد فرية أسلحة الدمار الشامل والديكتاتورية وغيرها .. فما الذي يبقيكم في العراق الذي قتلتم فيه مليوناً وشردتم ثلاثة ملايين ؟

* اتهمت الصين الولايات المتحدة بالوقاحة والنفاق وقالت إن غزو العراق هو أكبر كارثة إنسانية في العالم .. وما نرجوه أن يكون هذا التعليق فاتحة سياسة

صينية معنية بالقارة الآسيوية ككل ، لا أن يكون مجرد ردة فعل على وقاحة أمريكا التي تقتل في العراق مليوناً وتتعي على الصين سياستها في التبت وتطالبها بضبط النفس هناك !!

* شيمون بيريس هو الأب السياسي للقنبلة الذرية الإسرائيلية .. أما أمها فهي فرنسا التي أمدت إسرائيل بمفاعلها النووي الأول . وعندما كان لفرنسا رجال فقد تراجعوا عن ذلك السِّفاح وتبعاته الأدبية . أما الآن في عهد الصهيوني الأثيم ساركوزي فقد عاود الاحتفاء بسفاح بلده المخزي وأوعز بأن يكون شيمون بيريس والد القنبلة الذرية الإسرائيلية هو (الرمز) الثقافي الذي يفتح معرض الكتاب في باريس ..

* عاد الجنود الأمريكيون في العراق يتساقطون صرعى بوتيرة عالية كما في السابق .. فخلال ثلاثة أيام في الأسبوع الماضي سقط اثنا عشر قتيلاً منهم . ورافق ذلك في الأسواق العالمية انخفاض مذهل في سعر الدولار . فما الذي ما يزال يسمح للرئيس بوش أن يتفلسف على العالم في تصريحاته الفارغة ؟

محمد في عيون أهل القمم

في ديوانه الرائع (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يخاطب شاعر الألمان غوته ، أستاذه الروحي الشاعر المسلم حافظ شيرازي فيقول : "أي حافظ ! إن أغانيك لتبعث السكون ... وإنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة ، لتحملنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبد الله ..."(١).

ويقول غوته : "إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا ، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد(٢) ... ، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد"(٣).

(١) من (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) غوته ص(٣١) .

(٢) من (أفاق جديدة للدعوة) العلامة أنور الجندي ص (٨١) .

(٣) من (شمس الله تسطع على الغرب) زيغريدهونكه ص(٤٦٥)

جمعها د . عبد المعطي الدالاتي .